الكشف عن معجم لغوي مفقود في بغداد

الأستاذ عبد الهادي التازي
سفير المملكة المغربية في العراق

حركة التاليف المعجمي عند العرب مرت عبر القرون بمراحل متعددة ، اولها : مرحلة كتب الصفات او الغريب المصنف ، ومنها جمعت مفردات الباب الواحد وضمت الى بعضها ، ومن نماذجها كتاب المطر والسحاب لابن دريد البصري والغريب المصنف لابي عبيد ، والمخصص لابن سيده الاندلسي .

وثانيها : مرحلة معاجم الالفاظ ، ومنها رتبت المفردات بالنسبة لحروفها لا الى معانيها ، واولها معجم العين للخليل بن احمد البصري ، وتلاه التهذيب والمحيط والمحكم والقلبيين والمجمل والجمهرة والصحاح والعباب واللبان والقاموس المحيط وتاج العروس .

وثالثها : مرحلة معاجم المعاني ، وقد رتبت فيها الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، وابرز نماذجها كتاب الالفاظ لابن السكيت ، وجواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر ، والالفاظ الكتابية للهمداني ، وفقه اللغة للثعالبي .

وكنت بعض المراجع القديمة تذكر كتابا مهما من هذه الكتب ، وهو معجم (متخير الالفاظ) تصنيف العالم اللغوي الجليل احمد فارس الرازي المتوفى سنة 395 هجرية ، ولكنه كان يعد في المعاجم التي عدا عليها الزمن وفقدت مع ما فقد من آثار السلف .

ومؤخرا عثر الباحث العراقي الثبت الاستاذ صدر ناجي على المعجم المذكور ضمن مخطوطات اسرته ، فحققه على مخطوطتين : الاولى تعود للقرن السادس الهجري ، والثانية كتبها جده العلامة السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق الحسني البغدادي امير الخطاطين في عصره في بواكير القرن الرابع عشر الهجري ، والكتاب المذكور ، ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والانباري في نزهة الالباء ص 321 ، كما ذكره ابن فارس في عداد مؤلفاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من معجم (الجمل) .

رتب ابن فارس معجم (متخير الالفاظ) على ابواب المعاني في مائة واربعة عشر بابا ، وميزته الاساسية انه قد حفل بالالفاظ المفردة المنتقاة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم ، كما حفل بالامثال المنتقاة ، والاقوال الجارية مجراها، مؤكدا ان اول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتباء السهل من الخطاب، واجتناب الوعر منه ، والانس بانيسه والتوحش من وحشيه ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر ، وشواهده من عيون الشعر العربي لفظا ومعنى .

وقد بذل الاستاذ صدر ناجي في تحقيق هذا المعجم جهدا ضخما حتى ناهزت مصادره ومراجعه الاربعمائة كتاب ، من بينها عدد غير قليل من المخطوطات .

ويعتبر عمله هذا اول محاولة يقوم بها باحث عراقي في نشر معجم عربي قديم .

والكتاب معد للطبع حاليا، وقد قدم له الصديق المحقق بمقدمة موسعة ، تحدث في ختامها بلغة شعرية مؤثرة عن نوافعه في تحقيق هذا المعجم فقال ما نصه :

« حققت قبل هذا عددا من الكتب ونشرتها وشرعت في تحقيق أخرى ، لكني لم اشعر ابدا ان كتابا غير المتخير اصبح جزءا من كياني ولعوذا في جناني وبعضا من بياني ، ذلك ان روابط ممتدة الجذور موغلة عبر الزمن كانت تشدني اليه شدا بوشائج روحية غير منظورة، من هذه الروابط، ان مخطوطته الام الفريدة حفظها للعربية عم ابي السيد احمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وان مخطوطته الثانية كانت بخط جد ابي المرحوم عبد الوهاب ابن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي امير الخطاطين في عصره ، فبيني وبين المخطوطتين نسب ووشيجة ، وبيني وبينهما رحم وآصرة وقربى . ثم ان من هذه الروابط ما عرف من عناية اسرتنا بمعاجم اللغة جيلا بعد جيل » ثم عرض لنفائس مخطوطات اسرتهم اللغوية حتى قال : « ان هذه العناية كانت تدفعني دفعا وتحفزني حفزا ، لاني اصل حبل النسخ والحفظ في اسرتنا بحبل التحقيق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بعد ضياع استمر الف عام ، وفاء للعربية واحياء لبعض تراث الاسرة، وهكذا صاحبت ـ المتخير ـ قرابة عام، كان فيه سميري كل ليلة ونجي كل دجنة ، وكان منه صاحبا ومحدثا واليفا، اصوب منه ما حرف محرف وصحف مصحف فلا يسام ولا يضجر، واقطع الليل اخرج بيتا لشاعر او قالة لناثر فلا يحول ولا يتغير ، وكم غبت عن دنياي وانا اعرض نصا على مصدر ، حتى اذا ضجعت للفور تالية النجم ، واخذ الليل في طي الربط ، وتبين الخيط من الخيط ، ردني الى دنياي مؤذن ينادي : ان حي على الفلاح .. قد قامت الصلاة، فانسلخ من مقعدي اذ ينسلخ النهار من الليل ، واذ ينشق النور عن الظلمة ، وعلى مثل هذا كان لقاؤنا وافتراقنا قرابة عام » .

بمثل هذا الاسلوب الشاعري المتدفق قدم المحقق الصديق لهذا المعجم الفريد .

ومجمل القول ان نشر هذا المعجم سيكون اضافة قيمة للمكتبة اللغوية .

وفي تقديري ان هذا المعجم بالذات لا غنى عنه لكل كاتب وشاعر ، وعسى ان نراه في عالم المطبوعات قريبا .